اهتمام الإسلام بتربية الأولاد

قال تعالى : ﴿ وَلْيَخْشَ الَّذِينَ لَوْ تَرَكُوا مِنْ خَلْفِهِمْ ذُرِّيَّةً ضِعَافًا خَافُوا عَلَيْهِمْ فَلْيَتَّقُوا اللَّهَ ﴾ (١) .

وورد عن رسول الله ﷺ أنه قال : « **كلكم راع وكلكم مسؤول عن رعيته** .... » (٢) .

لقد اهتم الإسلام بتربية الأبناء وتنشئة الأجيال لأن أطفال اليوم هم رجال المستقبل ، وهم النواة الأولى لتكوين الأمة وبناة المستقبل ، فالإسلام حرص كل الحرص على صنع المستقبل لأبناءه وتوجيههم إلى المسار الصحيح ليخرجوا الإنسانية التائهة من ظلمات الشرك والجهل والضلال والفوضى إلى نور التوحيد والعلم والهدى والاستقرار الذاتى والإجتماعى .

والقرآن والسُّنة هما دستور الحياة للعالم ، وفيهما الهداية والإنقاذ للبشرية جميعاً من الضلال والضياع .

قال تعالى : ﴿ قَدْ جَاءَكُم مِّنَ اللَّهِ نُورٌ وَكِتَابٌ مُّبِينٌ (١٥) يَهْدِي بِهِ اللَّهُ مَنِ اتَّبَعَ رِضْوَانَهُ سُبُلَ السَّلَامِ وَيُخْرِجُهُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِهِ وَيَهْدِيهِمْ إِلَى صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ (١٦) ﴾ (٣) .

فالقرآن والسُّنة يجب أن يكونا المنهل الأول للأمهات والآباء فى استقاء الآداب والأخلاق التى يغرسونها فى نفوس أبناءهم ، وليحرصا على ترك تلك

---

(١) سورة النساء الآية « ٩ » .

(٢) **حديث صحيح** :رواه البخارى فى الأدب المفرد ، حديث رقم ٩٤ ، ورواه مسلم .

(٣) سورة المائدة الآيات « ١٥ - ١٦ » .

OBEIKAN.COM

العادات والتقاليد الدخيلة على المجتمع سواء كانت فى مناسبات الزواج أو الولادة والحضانة والتربية وغير ذلك ، فالتربية الصحيحة تبدأ منذ الولادة والولد على ما عوده أبواه .

ورد عن رسول الله ﷺ أنه قال : « **كل مولود يولد على الفطرة ، حتى يعرب عنه لسانه ، فأبواه يهودانه أو ينصرانه أو يمجسانه** » (١) .

ولله در القائل :

وينشأ ناشىء الفتيان فينا على ما كان عوده أبوه

وقد أمرنا الله تبارك وتعالى بأن نعلم أولادنا وأهلنا الخير لنحميهم من النار والهلاك ، قال تعالى : ﴿ **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قُوا أَنفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ** ﴾ (٢) ، قال علىّ بن أبى طالب رضي الله عنه أى : علموهم وأدبوهم .

(١) رواه أحمد فى مسنده والبخارى فى صحيحه .
(٢) سورة التحريم الآية « ٦ » .

OBEIKAN.COM

مفهوم التربية في الإسلام

التربية مأخوذة من « الرب » وهى تبليغ الشيء إلى كماله شيئاً فشيئاً ، وقد وصف الله تعالى نفسه بالرب للمبالغة .

ويقال : ربَّ ولده ، والصبى يربه ربا ، وربيه تربيباً وتربَّه بمعنى رباه .

يقول اللحيانى : كما جاء الرب بمعنى التربية كانوا يربون المتعلمين بصغار العلوم قبل كبارها . أ . هـ .

ويقال : ربيت الأمر أربه ربا ورببته أصلحته ومتنته ومنها أخذت كلمة الرب فالله عز وجل هو الذى يربى عباده فينميهم ويصلح أحوالهم ويرسم لهم طريق السعادة ويبين لهم المنهج الذى يجب أن يسيروا عليه .

إن تربية الأولاد عملية بناء ورعاية وإصلاح شيئاً فشيئاً حتى التمام ، ومن معانى التربية تنمية قوى الإنسان الدينية والفكرية والخلقية تنمية متسقة متوازنة .

من هنا يتضح أن تربية الأولاد هى الحرص على تنمية مداركهم والتدرج فى تعليمهم الخير وإبعادهم عن السوء منذ الطفولة حتى البلوغ .

ولا شك أن ذلك أمانة فى أعناق الآباء والأمهات .

آراء العلماء فى تربية الأبناء :

ورد عن ابن عمر رضى الله عنهما قال فى قوله تعالى : ﴿ إِنَّ الْأَبْرَارَ لَفِي نَعِيمٍ ﴿١٣﴾ ﴾ [١] ، سماهم الله تعالى أبراراً لأنهم بروا الآباء والأبناء

---

[١] سورة الانفطار الآية « ١٣ ».

كما أن لوالديك عليك حقاً كذلك لولدك عليك حقاً . أ . هـ .

وقال الغزالى – رحمه الله – : « إن الصبى أمانه عند والديه وقلبه الطاهر جوهرة نفيسه ساذجة خالية من كل نقش وصورة وهو قابل لكل ما ينقش فيه ومائل إلى كل ما يمال به إليه ، فإن عُود الخير وعلمه نشأ عليه وسعُد فى الدنيا والآخرة وشاركه فى ثوابه أبواه وكل معلم له ومؤدب وإن عود الشر وأهمل إهمال البهائم شقى وهلك وكان الوزر فى رقبة مربيه والقيم عليه » . أ. هـ .

ويقول محمد قطب : « وإذا كان البيت والشارع والمدرسة والمجتمع هى ركائز التربية الأساسية فإن البيت هو المؤثر الأول وهو أقوى هذه الركائز جميعاً لأنه يتسلم الطفل من أول مرحلة ولأن الزمن الذى يقضيه الطفل فى البيت أكبر من أى زمن آخر ولأن الوالدين أكثر الناس تأثيراً فى الطفل » [١] .

فجميع العلماء متفقون على أهمية تربية الأولاد على كتاب الله وسُّنة رسوله ﷺ ، والأطفال عقولهم صفحة بيضاء تستوعب ما ينقش عليها ، قال تعالى : ﴿ وَاللَّهُ أَخْرَجَكُم مِّن بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ لا تَعْلَمُونَ شَيْئًا وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالأَبْصَارَ وَالأَفْئِدَةَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ (٧٨) ﴾ [٢] ، فإن رُبى الطفل على الخير نشأ صالحاً نافعاً ، وإذا رُبى على غير ذلك نشأ فاسداً .

عناية الإسلام بتربية الأولاد :

اعتنى الإسلام برعاية الأولاد وحُسن تربيتهم لأنهم أمل المستقبل ، فحمل الإسلام مسؤولية تربية الأولاد على عاتق الوالدين والأقارب ، لأنهم المؤثر الأول فى التربية ، وقد حافظ الإسلام على سلامة الأولاد بشتى الطرق ، فحمل

---

(١) انظر منهج التربية الإسلامية لمحمد قطب .
(٢) سورة النحل الآية « ٧٨ » .

مسؤولية الإنفاق على الأولاد للأبوين ، وحرم قتل الأولاد بسبب الفقر أو خشيته ، قال تعالى : ﴿ وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُم مِّنْ إِمْلَاقٍ نَّحْنُ نَرْزُقُكُمْ وَإِيَّاهُمْ ﴾ (١) .

وقال سبحانه : ﴿ وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُمْ خَشْيَةَ إِمْلَاقٍ نَّحْنُ نَرْزُقُهُمْ وَإِيَّاكُمْ إِنَّ قَتْلَهُمْ كَانَ خِطْئًا كَبِيرًا (٣١) ﴾ (٢) .

فالآية الأولى تحذر من قتل الأولاد بسبب الفقر ، والمعنى إذا كان الفقر موجود فعلاً يجب ألا يقتل الوالدان أبناءهما بسببه .

والآية الثانية تحذر من قتل الأولاد خشية الفقر المتوقع بمواجهة مطالب المولود وتنشئته ، فالله عز وجل طمأنهم بأنه يرزق الأولاد والآباء معاً ، بعض الأمهات كن يقتلن أولادهن كذلك لسبب ما ، إما بالوأد أو بإسقاط الأجنة ، فنهى الله تبارك وتعالى عن ذلك .

قال تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِذَا جَاءَكَ الْمُؤْمِنَاتُ يُبَايِعْنَكَ عَلَىٰ أَن لَّا يُشْرِكْنَ بِاللَّهِ شَيْئًا وَلَا يَسْرِقْنَ وَلَا يَزْنِينَ وَلَا يَقْتُلْنَ أَوْلَادَهُنَّ وَلَا يَأْتِينَ بِبُهْتَانٍ يَفْتَرِينَهُ بَيْنَ أَيْدِيهِنَّ وَأَرْجُلِهِنَّ وَلَا يَعْصِينَكَ فِي مَعْرُوفٍ فَبَايِعْهُنَّ وَاسْتَغْفِرْ لَهُنَّ اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ (١٢) ﴾ (٣) .

وقد قرر الإسلام حق الرضاعة للطفل حفاظاً على صحته الجسمية والعقلية، قال تعالى : ﴿ وَالْوَالِدَاتُ يُرْضِعْنَ أَوْلَادَهُنَّ حَوْلَيْنِ كَامِلَيْنِ لِمَنْ أَرَادَ أَن يُتِمَّ الرَّضَاعَةَ وَعَلَى الْمَوْلُودِ لَهُ رِزْقُهُنَّ وَكِسْوَتُهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ لَا تُكَلَّفُ نَفْسٌ إِلَّا

---

(١) سورة الأنعام الآية « ١٥١ » .
(٢) سورة الإسراء الآية « ٣١ » .
(٣) سورة الممتحنة الآية « ١٢ » .

وُسْعَهَا لا تُضَارَّ وَالِدَةٌ بِوَلَدِهَا وَلا مَوْلُودٌ لَّهُ بِوَلَدِهِ ﴾ (١) .

وكفل الإسلام حق الميراث للأولاد ، قال تعالى : ﴿ يُوصِيكُمُ اللَّهُ فِي أَوْلادِكُمْ لِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ الأُنثَيَيْنِ ﴾ (٢) .

وعلى الوالدين ألا يمنوا على أولادهم بالنفقة عليهم .

ورد عن أبى هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « **إن فى الجنة درجة لا يبلغها إلا ثلاثة : إمام عادل ، أو ذو رحم وصول ، أو ذو عيال صبور** » .

فقال علىّ بن أبى طالب رضي الله عنه : ما صبر ذى عيال ؟ قال : « لا يمن على أهله بما ينفق عليهم » (٣) .

وورد عن رسول الله ﷺ أنه قال : « **أحب العباد إلى الله أنفعهم لعياله** » (٤) .

وعن جبير بن مطعم رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « **ليس منا من وسع الله عليه ثم قتر على عياله** » (٥) .

وعن أنس رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « **ما من أمتى أحد يكون له ثلاث بنات أو ثلاث أخوات يعولهن حتى يبنَ** – أى ينفصلن عنه (٦) – **إلا كان معى فى الجنة هكذا** » (٧) ، وجمع بين إصبعيه السبابة والوسطى .

---

(١) سورة البقرة الآية « ٢٣٣ » .
(٢) سورة النساء الآية « ١١ » .
(٣) رواه الديلمى فى مسند الفردوس .
(٤) رواه عبد الله بن أحمد فى زوائده عن الحسن .
(٥) رواه الديلمى فى مسند الفردوس .
(٦) بالزواج أو الموت .
(٧) رواه الديلمى عن أنس .

OBEIKAN.COM

وقد كفل الرسول ﷺ للأولاد حق تعلم صفات الفروسية ، روى الطبرانى فى الصغير عن أبى رافع رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « **كيف بك يا أبا رافع إذا افتقرت** ؟ » قال : أفلا أتقدم فى ذلك ؟ قال : «**بلى ما مالك** ؟» قال : أربعون ألفاً وهى لله قال : «**لا ، أعط بعضاً وأمسك بعضاً ، وأصلح ولدك**» ، قال : أولهم علينا حق كما لنا عليهم ؟ قال : « **نعم حق الولد على الوالد أن يعلمه كتاب الله ، والرمى والسباحة وأن يورثه طيباً** » .

وروى البيهقى فى شعب الإيمان بسنده عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « **علموا أبناءكم السباحة والرمى والمرأة المغزل** » .

وروى الديلمى عن أبى هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « **حق الولد على الوالد أن يُحسن اسمه ويزوجه إذا أدرك ويعلمه الكتاب** » .

مسؤولية الأب فى تكوين الأسرة :

يقول عبد الله بن عمر – رضى الله عنهما – : « كما أن لوالدك عليك حقاً كذلك لولدك عليك حق » [(١)] ، وورد عنه ﷺ أنه قال : « **الرجل فى أهله راعٍ وهو مسئول عن رعيته** » [(٢)] .

إن أعظم هذه الحقوق وأهمها : حُسن اختيار الأم فهى الحاملة الحاضنة المربية وهى تورث صفاتها الخُلقية والخلقية لأبناءها .

يقول الأستاذ / عدنان حسن : « إن بعض الدراسات أثبتت أن النباهة والإمتياز تستند إلى خصائص وراثية ، كما أن علماء الجينات يرون أن للوراثة قوة عجيبة تفرض نفسها على المولود ، وهذا الإعتقاد ساق بعضهم إلى القول

---

(١) رواه البخارى ومسلم .

(٢) رواه البخارى فى الأدب المفرد حديث رقم ٩٤ .

OBEIKAN.COM

بأن الحصول على أفراد ممتازين لايعود إلى التعليم بل يعود إلى العمل على تحسين النسل ، فالطفل يرث من والديه بعض المميزات والسمات الجسمية وبعض الإتجاهات العقلية [١] .

لذلك حث رسول الله ﷺ على حُسن اختيار الزوجة ، يضاف إلى مسؤوليات الأب فى تكوين الأسرة النفقة على الأسرة ومراعاة الأب لحقوق المولود وتأديبه .

قال تعالى : ﴿ وَعَلَى الْمَوْلُودِ لَهُ رِزْقُهُنَّ وَكِسْوَتُهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ ﴾ [٢] ، وورد عن النبى ﷺ أنه قال : « **اليد العليا خُير من اليد السفلى وابدأ بمن تعول** » [٣] .

وقال ﷺ : « **وابدأ بمن تعول يقول الولد أطعمنى إلى من تدعنى** » [٤] ، وللنفقة على الأولاد ثواب عظيم .

مر رجل على النبى ﷺ ومعه بعض أصحابه وعليه آثار التعب من جَلَده فقالوا يا رسول الله لو كان هذا فى سبيل الله ؟ .. فقال رسول الله ﷺ : « **إن كان خرج يسعى على أولاده صغاراً ، فهو فى سبيل الله وإن كان يسعى على أبويه فهو فى سبيل الله ، وإن كان يسعى ليكف نفسه عن المسألة ، فهو فى سبيل الله** » [٥] .

وورد عنه ﷺ أنه قال: « **ما أطعمت نفسك فهو لك صدقة ، وما أطعمت**

---

(١) انظر مسؤولية الأب المسلم « ٣٥ » .
(٢) سورة البقرة الآية « ٢٣٣ » .
(٣) رواه الطبرانى .
(٤) جزء من حديث رواه البخارى .
(٥) رواه أحمد .

OBEIKAN.COM

ولدك فهو لك صدقه ، وما أطعمت زوجتك فهو لك صدقه » (١) .

وعن أبى هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « **من كان له ثلاث بنات فعالهن وآوهن وكفلهن وجبت له الجنة ، قيل واثنتين ؟ قال : واثنتين ، قيل : وواحدة ؟ قال وواحدة »** (٢) .

ويراعى الأب أن ينفق على أولاده من كسب حلال ورد عن الإمام أحمد رحمه الله أنه قال : « ليتق الله العبد ولا يطعمهم إلا طيباً لبكاء الصبى بين يدى أبيه متسخطاً يطلب منه خبزاً أفضل من كذا وكذا يراه الله بين يديه » (٣) .

مسؤولية الأم فى تربية الأولاد :

للأم دور مهم فى تربية الأولاد ، فلو صلحت صلح الأولاد ولو فسدت فسد الأولاد .

لذلك فقد اعتنى الإسلام باختيار الزوجة ووضع أوصافاً للزوجة الصالحة ، قال تعالى يصف الزوجات الصالحات : ﴿ **فَالصَّالِحَاتُ قَانِتَاتٌ حَافِظَاتٌ لِّلْغَيْبِ بِمَا حَفِظَ اللَّهُ** ﴾ (٤) .

وورد عنه ﷺ أنه قال : « **تنكح المرأة لأربع ، لمالها ، ولحسبها ولجمالها ولدينها فاظفر بذات الدين تربت يداك »** (٥) .

وورد عن أبى هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال : « **خير نساء ركبن الإبل**

---

(١) **حديث صحيح** : رواه الطبرانى .
(٢) **حديث صحيح** : رواه الطبرانى فى الأوسط .
(٣) ذكره أحمد كتاب الورع ، ص ١١٩ ، ١٢٠ .
(٤) سورة النساء الآية « ٣٤ » .
(٥) رواه البخارى ومسلم .

OBEIKAN.COM

صالح نساء قريش أحناه على الولد فى صغره وأرعاه على زوج فى ذات يده » [١] .

يقول الإمام الغزالى رحمه الله : « ويسأل عن دينها ومواظبتها على صلاتها ومراعاتها لصيامها وعن حيائها ونظافتها وحُسن ألفاظها وقبحها ولزومها قعر بيتها – أى لا تخرج من البيت إلا لضرورة – وبرها بوالديها ... ويبحث عن خِصال والدها ودينه وحال والدتها ودينها وأعمالها ... » [٢] .

يقول عدنان حسن : « ولهذا كان الزواج من الكتابيات غير مفضل وإن كان مباحاً لأن جانب الدين غير متوافر فيهن ، والرسول ﷺ عندما وضح وبيَّن مرغبات الرجال فى اختيار النساء ذكر الجمال والحسب والمال والدين ثم رغب فى ذات الدين قال : **فاظفر بذات الدين تربت يداك** ، واليهوديات والنصرانيات لسن من ذوات الدين » [٣] .

وليحذر الشباب المسلم عند اختيار الزوجة أن يفضل الجمال على الدين .

يقول ابن الجوزى رحمه الله : « وينبغى أن يكون النظر إلى باب الدين قبل النظر إلى الحسن ، فإنه : إذا قل الدين لم ينتفع ذو مروءة بتلك المرأة » [٤] .

والإسلام اهتم بالأم كل هذا الإهتمام لأنها المدرسة الأولى للأولاد والمعلم الأول لهم منذ المهد .

قال حافظ إبراهيم :

---

(١) رواه مسلم .
(٢) انظر الأدب فى الدين ٤٩ .
(٣) انظر مسؤولية الأب المسلم ٣٦ بتصرف .
(٤) انظر صيد الخاطر « ٣٦١ » .

OBEIKAN.COM

الأم مدرســـة إذا أعددتهـــا أعـــددت شعباً طيـــب الأعـــراق

وحرص الصالحون والعلماء على بذل الوصية عند اختيار الزوجة ، قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه عندما سأله أحد الأبناء ما حق الولد على أبيه ؟ قال : « أن ينتقى أمه ويُحسن اسمه ويعلمه القرآن » ، وقال عثمان رضي الله عنه لأولاده : « يابنىّ النكاح مغترس فلينظر امرؤ حيث يضع غرسه والعرق السوء قلما ينجب فتخيروا ولو بعد حين » .

فالأم هى التربة التى يغرس فيها الأب نباتـه فبصلاحها يصلح المجتمع ، قال تعالى : ﴿ **وَالْبَلَدُ الطَّيِّبُ يَخْرُجُ نَبَاتُهُ بِإِذْنِ رَبِّهِ وَالَّذِي خَبُثَ لا يَخْرُجُ إِلاَّ نَكِدًا** ﴾ (١) .

فالأم الصالحة هى التى تصنع العظماء وإذا فسدت الأم فلن نحصد إلا شراً ، قال الشاعر :

وليس النبت ينبت فى جنان كمثل النبت ينبت فى فلاة

وهل يرتجى لأطفال صلاح إذا ارتضعن ثدى الفاسدات

ورد أن هند بنت عتبه كانت تهدهد ولدها معاوية فى طفولته فمر عليها حكيم من العرب فنظر إليها فقال لها إنى أرى الذكاء فى عينيه إنى لأظنه أن يقود قومه عندما يكبر ، فقالت له : ثكلته إن لم يقد إلا قومه .

فالأم هنا أرادت أن تغرس صفات الرجولة والقيادة فى ابنها منذ طفولته وربته على أن يقود العالم أجمع .

وورد أنه اجتمع عند عائشة رضى الله عنها ابن أخيها محمد بن القاسم بن

---

(١) سورة الأعراف الآية « ٥٨ » .

OBEIKAN.COM

محمد بن أبى بكر ومحمد بن عبد الرحمن بن أبى بكر ، فتكلما فلحن محمد ابن القاسم فى الكلام وكان لحانه – أى كثير الخطأ – فكان ينصب المرفوع ويرفع المنصوب ، فقالت له عائشة رضى الله عنها : لما لا تتكلم كما يتكلم أخوك هذا ؟!! ثم قالت : أنا أعرف السبب أن هذا ربته أمه وأنت ربتك أمك!!.

وكانت أم محمد بن القاسم أم ولد– أى جارية لا تحسن اللغة العربية– .

وورد أنه وقف غلام أمام عبد الملك بن عبد العزيز فلحن فقال عبد الملك هاتوه اقطع لسانه ، فقال الغلام اقطعوا لسان أمى فهى التى علمتنى !!! .

أهمية مرحلة الطفولة :

ورد عن ابن عباس رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ قال : « **يا غلام إنى معلمك كلمات احفظ الله يحفظك ، احفظ الله تجده تجاهك ، وإذا سئلت فسأل الله ، وإذا استعنت فاستعن بالله ، واعلم أن الدنيا لو اجتمعت على أن ينفعوك بشيء لا ينفعوك إلا بشيء قد كتبه الله لك ، ولو اجتمعت على أن يضروك بشيء لن يضروك إلا بشيء قد كتبه الله عليك ، رفعت الأقلام وجفت الصحف** » (١) .

فمرحلة الطفولة من أهم مراحل حياة الإنسان ، وهى المرحلة المؤثرة فى تكوين شخصيته ، فاكتساب الأخلاق والمبادئ سهلاً يسيراً في هذه المرحلة ولذلك حرص رسول الله ﷺ أن يعلم ابن عباس مبادئ الإسلام وأُسس الإيمان بالقضاء والقدر وهو بذلك يلفت أنظار المربين إلى أهمية هذه المرحلة ، فالطفل فى هذه المرحلة أقرب إلى الفطرة الصافية ، وكلما تأخرت التربية وغرس القيم فى نفس الطفل زاد العبء الملقى على عاتق الوالدين ، فالطفل ينشأ فى حياته

---

(١) رواه الترمذى فى القيامة ٥٩ ، وأحمد ١ / ٢٩٣ .

OBEIKAN.COM

على ما تعود عليه منذ صغره ، قال الشاعر :

وينشأ ناشىء الفتيان فينا على ما كان عوده أبوه

بعض الأمهات تهمل هذه الفترة وتظن أنها مرحلة منسية من حياة الطفل، وما علموا أنها مرحلة بناء الأفكار والتصورات أكثر من غيرها من المراحل ، والتعليم فى هذه المرحلة أسهل من غيرها ، فقد قيل « التعليم فى الصغر كالنقش على الحجر ، والتعليم فى الكبر كالنقش فى الماء » أى أن التعليم فى الصغر لا يُنس ولا يندثر ، أما التعليم فى الكبر فمن السهل نسيانه واندثاره .

فأثر التربية يظهر دائماً على الأولاد فى تصرفاتهم ، فنرى على سبيل المثال بعض الأولاد الذين تربوا فى بيوت الدين والطاعة ، قد يفسدهم قرناء السوء مدة من الزمن ثم يعودون إلى جادة الصواب ، وتعليل ذلك بما ثبت عندهم منذ الصغر حيث أن القيم والمبادئ التى تعلموها منذ الصغر وطبعوا عليها فى طفولتهم هى التى جعلتهم يتغلبون على تلك العقبات .

وللقدوة أثر خطير فى هذه المرحلة ، فالطفل فى صغره يتأثر تأثيراً مباشراً بالوالدين وذلك عن طريق التقليد المباشر ، فهو يتخذهما مثله الأعلى فى سلوكه وأخلاقه وحياته ويعدهما النافذة الوحيدة التى يطل منها على الحياة .

روى أبو حامد الغزالى فى « الإحياء » قال : قال سهل بن عبد الله التسترى : « كنت وأنا ابن ثلاث سنين أقوم بالليل ... فأنظر إلى صلاة خالى محمد بن سوار » ، فقال لى يوماً : ألا تذكر الله الذى خلقك ؟ ، فقلت : كيف أذكره ؟ ، قال : قل بقلبك عند تقلبك فى فراشك ثلاث مرات من غير أن تحرك به لسانك : الله معى ، الله ناظر إلى ، الله شاهدى ، فقلت : ذلك ليالى ثم أعلمته ، فقال : قل فى كل ليله سبع مرات ، فقلت : ذلك ثم

أعلمته ، فقال : قل ذلك كل ليلة إحدى عشر مرة ... فقلته ، فوقع فى قلبى حلاوته ، فلما كان بعد سنة قال لى خالى : احفظ ما علمتك ودم عليه إلى أن تدخل القبر فإنه ينفعك فى الدنيا والآخرة .

قال سهل : فلم أزال على ذلك سنين ، فوجدت لذلك حلاوة فى سرى ، قال لى خالى يوماً : يا سهل من كان الله معه وناظر إليه وشاهده أيعصيه ؟ إياك والمعصية » .

فالطفل إن عودته على الإيمان والطاعة تعود وإلا فسد وتمسك بسفاسف الأمور ورذائلها .

يقول الأستاذ مصطفى السباعى [١] : حكمت إحدى المحاكم الشرعية على سارق بعقوبة القطع فلما جاء وقت التنفيذ قال لهم بأعلى صوته قبل أن تقطعوا يدى اقطعوا لسان أمى فقد سرقت أول مرة فى حياتى بيضة من الجيران فلم تؤنبنى ولم تطلب منى إرجاعها بل زغردت وقالت : الحمد لله لقد أصبح ابنى رجلاً ، لولا لسان أمى الذى زغرد للجريمة لما كنت فى المجتمع سارقاً .

فمرحلة الطفولة لها دور مهم فى حياة الأولاد ، فليحرص الآباء والمربون على حُسن تأديب الأولاد فى هذه المرحلة ، فالأولاد يستقون منهم المبادئ والأخلاق وينهجون نهجهم ويسيرون على دربهم ، فإذا فعل الآباء والأمهات ذلك كانوا مثل الزارع الذى يحرث الأرض ويزرعها ويرعى نبتها بكد وتعب واهتمام وحذر ليحصد الثمار اليانعة الجيدة .

وتظهر أهمية هذه المرحلة فى التراث الإسلامى ، فقد حرص رسول الله ﷺ

---

(١) انظر أخلاقنا الإجتماعية .

على تعليم الأولاد فيها أمور دينهم وورد عنه ﷺ أنه قال:« **مروا أولادكم بالصلاة عند سبع ، واضربوهم عليها عند عشر ، وفرقوا بينهم فى المضاجع** » (١) .

فالطفل يجب أن يتعلم أمور دينه منذ صغره ولنا هنا تنبيهان :

الأول : ألا يعاقب الطفل بالضرب أثناء تعويده على طاعة الله إذا قصر فيها بل يرغب ونلفت نظره إلى أهمية الأمر ونعمل على تحبيبه فى الأمر وتعظيمه عنده ، وذلك ليفعله رغبة فيه وليس رهبة منه .

الثانى : ألا يكون توقيتنا فى إلزام الأبناء بالأوامر والنواهى عند البلوغ فقط ، بل قبل ذلك بسنوات ليتعودوا على الطاعات وليجتنبوا المعاصى .

فالرسول ﷺ أمرنا بتعويد الأولاد الصلاة منذ السابعة ليتدربوا عليها وليتقنوها ، ويدخل فى هذا الباب أمر البنات بالحجاب والتستر قبل البلوغ لئلا يشق عليهن هذا الأمر عندما يبلغن سن التكليف ، فالأولاد مسؤولية الآباء والأمهات .

ورد عن رسول الله ﷺ أنه قال :« **كلكم راع وكلكم مسؤول عن رعيته** » (٢) .

فتربية الأولاد أمانة ومسؤولية فى أعناق الوالدين يجب أن نؤدى هذه الأمانة ولا نفرط فيها ، قال تعالى :﴿ وَالَّذِينَ هُمْ لأَمَانَاتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَاعُونَ ﴾ (٣) .

وقال تعالى :﴿ يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قُوا أَنفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ ﴾ (٤) .

---

(١) حديث صحيح : انظر صحيح الجامع حديث رقم ٥٨٦٧ .
(٢) رواه البخارى فى الأدب المفرد ، حديث رقم ٩٤ .
(٣) سورة المؤمنين الآية « ٨ » .
(٤) سورة التحريم الآية « ٦ » .

OBEIKAN.COM

قال ابن عباس عند تفسير هذه الآية : مروا أولادكم بامتثال أوامر الله ، واجتناب نواهيه فذلكم وقايتهم من النار ، فالأب والأم مسؤولان عن أبناءهما يوم القيامة ، ورد أن الله سبحانه وتعالى يسأل الوالد عن ولده يوم القيامة ، قبل أن يسأل الولد عن والده .

OBEIKAN.COM

عوامل صلاح الأولاد

لكى ننشىء جيل صالح من أولادنا ، هناك بعض العوامل التى تسهم فى ذلك أهمها :

١ - صلاح الآباء واستقامتهم على شرع الله تبارك وتعالى :

فصلاح الآباء ينفع الأبناء ، والإصلاح فرع الصلاح ولا يستقيم الظل والعود أعوج فإذا أردنا جيلاً صالحاً يؤمن بربه تبارك وتعالى ولا يستهين به الأعداء ، فلابد من صلاح الآباء أولاً فهم مصدر التعليم الأول فى البيت للأطفال .

ونحن نرى عجباً فى بعض البيوت ، نرى الأب يدخن ويحذر ابنه من التدخين ، ونرى الأم تترك الصلاة وتقول لأولادها اذهبوا صلوا ، ونرى العمة تدمن الأغانى والعم يدمن الغيبة ، ونرى ازدواجية فى شخصية الأفراد فى بعض الأسر فمقال الفرد شيء وحاله شيء آخر ، يقولون ما لا يفعلون ، ولا حول ولا قوة إلا بالله .

الله عز وجل وضع لنا ميثاقاً ربانياً لإصلاح أولادنا ، قال تعالى : ﴿ وَلْيَخْشَ الَّذِينَ لَوْ تَرَكُوا مِنْ خَلْفِهِمْ ذُرِّيَّةً ضِعَافًا خَافُوا عَلَيْهِمْ فَلْيَتَّقُوا اللَّهَ وَلْيَقُولُوا قَوْلاً سَدِيدًا ﴿٩﴾ ﴾ [١] .

فشرط صلاح الأبناء صلاح الآباء وتقواهم لله تبارك وتعالى ومضمون التقوى كما أخبرنا الإمام علىّ رضي الله عنه : « العمل بالتنزيل ، والخوف من

---

[١] سورة النساء الآية « ٩ » .

الجليل ، والرضا بالقليل ، والاستعداد ليوم الرحيل » .

فإنك إن كنت صالحاً حقاً ، وكان ولدك مسيئاً لا يُرجى صلاحه ، أخذه الله رحمة بك ، قبل أن يسيئ إليك ، والدليل على ذلك قصة الغلام والخضر، قال تعالى : ﴿ وَأَمَّا الْغُلَامُ فَكَانَ أَبَوَاهُ مُؤْمِنَيْنِ فَخَشِينَا أَن يُرْهِقَهُمَا طُغْيَانًا وَكُفْرًا (٨٠) ﴾ (١) .

فالله عز وجل أمر الخضر بقتل الولد الفاسد لئلا يُفسد والديه المؤمنين ، أما إذا كنت مؤمناً حقاً فلا تخشى على أولادك من بعدك ، فسيحفظ الله لك ذريتك من بعدك ،والدليل على ذلك قصة الخضر والجدار ، قال تعالى: ﴿ وَأَمَّا الْجِدَارُ فَكَانَ لِغُلَامَيْنِ يَتِيمَيْنِ فِي الْمَدِينَةِ وَكَانَ تَحْتَهُ كَنزٌ لَّهُمَا وَكَانَ أَبُوهُمَا صَالِحًا فَأَرَادَ رَبُّكَ أَن يَبْلُغَا أَشُدَّهُمَا وَيَسْتَخْرِجَا كَنزَهُمَا رَحْمَةً مِّن رَّبِّكَ ﴾ (٢) .

فالله عز وجل حفظ الأولاد وأموالها بصلاح آباءهما ، انظر تقوى الله عز وجل تنفع صاحبها ومن بعده ذريته ، اتق الله يربى لك أولادك ، فلا يستطع أحد أن يُصْلِح إلا بإرادة الله تبارك وتعالى .

٢ – التدرج فى التربية وعدم التسرع :

فيجب عند تعليم الأولاد شيئاً ما أن يأخذ الأب من الأمور ما سهل فهمه للولد وسهل تطبيقه وألا يتسرع فى تعليمه وألا يتعجل النتائج فإذا فعل ذلك كانت النتيجة أكيدة بإذن الله تبارك وتعالى ، قال تعالى : ﴿ وَإِن تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا لَا يَضُرُّكُمْ كَيْدُهُمْ شَيْئًا إِنَّ اللَّهَ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطٌ (١٢٠) ﴾ (٣) .

---

(١) سورة الكهف الآية « ٨٠ ».
(٢) سورة الكهف الآية « ٨٢ ».
(٣) سورة آل عمران الآية « ١٢٠ »

وإذا أحسنت تربية أولادك كانوا معينين لك على طاعة الله عز وجل ، « ورد أن عبد الملك بن عمر بن عبد العزيز عندما تولى أبوه الخلافة دخل على أبيه فوجده نائماً فقال له يا أبتى قم أتنام وتترك الرعية ؟!! .

قال يا بنى : شغلت بموت عمك بالأمس ولم أنم اتركنى أنام ساعة ، فقال عبد الملك : إن الذى يحمل أمانة أمة محمد لا ينبغى له أن ينام ، فقام عمر لينظر شؤون الرعية ، ثم قال عبد الملك : يا أبتى ما لى أراك لا تنجز الأمور دفعة واحدة وتأخذ على يد الظالمين ؟ والله لا أبالى أن تغلى القدور بى وبك فى سبيل الله .

فقال عمر : يابنى إنى رأيت الله ذم الخمر فى ثلاث مرات ثم حرمها فى الرابعة ، وإنى لأخشى أن أحمل الناس على الحق جملة ، فيتركوه جملة » ، نعم إن صلحت تعهد الله ولدك بالعناية ، واعلم أن الله عز وجل إذا تعهد أحداً بالعناية فلا يفسد أبداً حتى ولو اجتمعت قوى الأرض على إفساده .

قال تعالى :﴿ إِن تَنصُرُوا اللَّهَ يَنصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ ﴿٧﴾ ﴾ (١) .

وقال ﷺ لابن عباس :« **يا غلام احفظ الله يحفظك ، احفظ الله تجده جاهك ، وإذا سألت فسأل الله ، وإذا استعنت فاستعن بالله واعلم أن الأمة بإنسها وجنها لو اجتمعت على أن ينفعوك بشيء لن ينفعوك إلا بشيء قد كتبه الله لك ، وإن اجتمعت على أن يضروك بشيء لن يضروك إلا بشيء قد كتبه الله عليك ، رفعت الأقلام وجفت الصحف** » (٢) .

ولك فى قصة غلام أصحاب الأخدود عبرة ، فقد اجتمعت قوى الأرض

---

(١) سورة محمد ﷺ الآية ٧ .
(٢) رواه الترمذى وأحمد ١ / ٢٩٣ .

على أن يجعلوا الغلام ساحراً ، فعجزوا واجتمع الملك ووزراءه وحاشيته وساحره لهذا الغرض ، لكن الله عز وجل أراد لهذا الغلام أن يكون داعيه فكان ما أراد الله عز وجل .

٣ – الحرص على إصلاح الأم :

فالأم أساس المجتمع ، وبصلاحها يصلح المجتمع فهى المدرسة الأولى للأولاد ، قال الشاعر :

الأم مدرسة إذا أعددتها أعددت شعباً طيب الأعراق

إن لم تكن الأم صالحة فسد الأولاد جميعاً ، يقولون إن وراء كل عظيم امرأة ، نعم هى أمه التى ربته ورعته ، من أراد إصلاح أولاده فليصلح زوجته أولاً .

أخى المسلم ، علم زوجتك الخير والصلاح تعلم أولادك ، فالأم هى التى تربى الأبطال والقادة فلو نظرنا فى أمهات الصحابة لوجدناهن أمهات عرفن ربهن وعرفن ما عليهن من واجبات ، فأم أنس بن مالك الرميساء ، وأم معاوية هند بنت عتبة ، وأم الزبير صفية عمة النبى ﷺ ، وأم عبد الله بن الزبير أسماء بنت أبى بكر ذات النطاقين ، فكلهن نساء عاقلات عرفن الله عز وجل وأقمن شرائعه والتزمن بأوامره فأخرجن رجالاً ، قال فيهم رب العزة تبارك وتعالى : ﴿ **رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ فَمِنْهُم مَّن قَضَىٰ نَحْبَهُ وَمِنْهُم مَّن يَنتَظِرُ وَمَا بَدَّلُوا تَبْدِيلًا (٢٣)** ﴾ [١] .

٤ – اتخاذ مثلاً أعلى والطموح إليه :

إن للمثل الأعلى دور مهم فى حياة أولادنا فهو خير وسيلة للنجاح فى الحياة ، فإذا وضع المرء مثلاً أعلى أمامه يطمح إليه وينشده ويضعه دائماً نصب

---

(١) سورة الأحزاب الآية « ٢٣ ».

عينيه يسعى دائماً للوصول إليه تحقق له الفلاح والنجاح فى حياته ، والمثل الأعلى قد يكون عالماً عظيماً أو تاجراً ناجحاً أو صانعاً ماهراً أو سياسياً فذا ، كل هؤلاء يجوز أن يكونوا مثلاً أعلى ولكن خير مثل وخير قدوه يمكن أن يتخذها الفرد هو رسول الله ﷺ فهو خير مخلوق على الأرض وأفضل من تغلب على المصاعب وقهر العقبات ولذا اختاره الله تبارك وتعالى ليكون المثل الأعلى والقدوة للمسلمين جميعاً ، قال تعالى : ﴿ **لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا (٢١)** ﴾ [(١)] .

وكثير من الناس يعيشون فى تخبط وإحساس بالضياع بسبب خطأهم فى اتخاد مثلهم الأعلى ، فمنهم من اتخذ مثله الأعلى فنانا من الفنانين ، وآخر اتخذ لاعب كره وثالث اتخذ إنساناً كافراً لا يؤمن بالله ، فكل هؤلاء لا يستفيد منهم المرء كقدوه أو كمثل أعلى ، يقول الأستاذ أحمد أمين : والبعض جعل المال مثله الأعلى فى الحياة وعمل على تحقيقه بكل السبل المشروعة والغير مشروعة حتى ولو من طريق التحايل والمكر واستغلال الآخرين لمصلحته وابتزاز الضعفاء لشخصه ، فتلك وسيلة من الوسائل الحقيرة والنجاح المؤسس على هذا نجاح حقير رخيص ، إنما النجاح الحق أن يجمع إلى الإخلاص فى عمله ، نبله فى خلقه وصدقه وأمانته فى نفسه . أ . هـ .

فإذا صلح المثل الأعلى وعمل المرء بتخطيط سليم لتحقيق ما وصل إليه قدوته ، نجح المرء فى حياته ، ولكن إذا تكاسل ورضى بالدون لم يصل فى حياته إلا إلى الدون ، فلا بد من علو الهمة فى طلب المعالى ولله در القائل :

وما نيل المطالب بالتمنى ولكن تؤخذ الدنيا غلابا

---

(١) سورة الأحزاب الآية « ٢١ ».